مقابلة

أكرم حمدان
akh_shebaa@hotmail.com

كيف يمكن حماية تراثنا من العدوان؟ المدير العام للآثار: إسرائيل تشنّ علينا حربًا ثقافيّة

تتوسع دائرة الحرب الاسرائيلية على لبنان لتطال كل شيء تقريبا، لكن اللافت كان استهداف الاماكن والمواقع التاريخية والاثرية التي تعرض بعضها للتفجير والتدمير، وبعضها الآخر للقصف في محاولة لتدمير التاريخ والتراث، الامر الذي يعتبر مخالفا لكل المعاهدات والقوانين الدولية التي تحمي هذه الاماكن خلال النزاعات المسلحة

وجه وزير الثقافة غسان سلامة كتابا الى المدير العام للاونيسكو الدكتور خالد العناني، طالبه فيه بالتدخل الفوري لمنع الاحتلال من تدمير موقع قلعة الشقيف -بوفور التي احتلتها إسرائيل، والتي تخضع لمسؤولية المديرية العامة للآثار في وزارة الثقافة منذ العام 2000 بعدما انسحب الجيش الاسرائيلي منها، وقد منحت صفة الحماية المعززة عام 2024 من قبل الأونيسكو.
"الأمن العام" التقت المدير العام للآثار المهندس سركيس الخوري.

■ ما هي مهام المديرية العامة للآثار والدور الذي تضطلع به؟
□ تعتبر المديرية العامة للآثار في وزارة الثقافة، مسؤولة عن كل ما له علاقة بالتراث المادي في لبنان. التراث المادي يعني الآثار التي تشمل الابنية والمدن التاريخية، المتاحف الاثرية، وهي مسؤولة ايضا عن ادارة هذه المواقع، مثل قلعة بعلبك وصور وصيدا وطرابلس وقصر بيت الدين وغيرها من المواقع التي استملكتها المديرية العامة للآثار خلال 100 سنة، فهي تديرها من الناحية الاثرية وتتولى فتحها أمام الزوار.

■ كم يبلغ عدد هذه المواقع في لبنان؟
□ هناك المئات من هذه المواقع، لكن ثمة مواقع مدرجة في لائحة التراث العالمي: قلعة بعلبك، قلعة عنجر، موقع صور الذي يتعرض للاعتداءات، جبيل، وادي قنوبين، ارز الرب، واخيرا معرض رشيد كرامي الدولي الذي صنف حديثا على لائحة التراث العالمي، كأول معلم تراثي معماري حديث في الشرق الأوسط. كذلك لدينا حاليا 9 مواقع على اللائحة التمهيدية للتراث العالمي، وهي اللائحة التي تسبق الانتقال لوضع هذه المواقع على لائحة التراث العالمي، منها مواقع قلاع جبل عامل التي ستطرح على لائحة التراث العالمي في الجلسة المقبلة، علما اننا نقوم بمجهود كبير لتصنيفها. كذلك هناك موقع نهر الكلب المصنف على لائحة ذاكرة العالم، قرية منجز، مدينة البترون والعديد من المواقع الأخرى. ثمة مواقع في كل قرية وبلدة ومدينة وزاوية من لبنان الذي يعتبر دولة غنية بالآثار، نظرا لوجوده في بقعة غنية بالتراث والآثار من العالم، كونه موجوداً على مفترق طرق العالم القديم. فهذا البلد الصغير كانت تتواجه على ارضه كل جيوش العالم، مما شكل غنى لوجود الاثار فيه. فعندما نقوم بحفريات في بيروت تتبين معنا كل الطبقات الاثرية عبر مختلف العصور، فيما يبرز هذا التنوع للحضارات التي مرت على لبنان. هذا الامر ينعكس على الشعب اللبناني، ان على صعيد اللغة أو التقاليد أو حتى الشكل والـ DNA، فنحن مزيج من الحضارات التي يبلغ عمرها آلاف السنين.

■ في ظل الحرب التي تشنها اسرائيل على لبنان وخصوصا في الجنوب، تابعنا استهداف المواقع التراثية والاثرية في قلعة الشقيف وشمع وصور والنبطية وبعلبك وغيرها، لماذا تصر إسرائيل على استهدافها؟
□ نحن نعتبر اننا في مقدمة المستهدفين في هذه الحرب. فمع كل تعاطفنا الانساني مع اهلنا في الجنوب لأن البشر هم الاساس، فيما اهلنا في الجنوب يقدمون الخسائر اليومية نتيجة الاعتداءات، الا ان الخاسر الأكبر يبقى الثقافة والآثار اللبنانية. نحن نعتبر ان هذه الحرب هي حرب ثقافية بامتياز، وليس لدواع سياسية او عسكرية فقط، لأن التراث والاثار في لبنان تعني الكثير لنا وللعالم. عندما تقول لبنان، يتخيل الأجانب بعلبك وجبيل وصور وغيرها، إلا ان هويتنا هي في القرى المنتشرة على مختلف الاراضي اللبنانية. هذه القرى عمرها آلاف السنين، وهي متجذرة في هذه الارض منذ فجر التاريخ. على سبيل المثال، قرية دير ميماس المحاطة بشجر الزيتون وشجر الخروب والعنب والتين والسماق والزعتر، هذه كلها صناعات ثقافية ومتوارثة أبا عن جد وهي تشكل تراثنا وتاريخنا، لذلك فإن خسارتها لا تقاس بعدد أشجار الزيتون وما تنتجه من زيت. اليوم، ويا للأسف، يتعرض هذا المنظر الثقافي الطبيعي مع هذه القرى ومجموعة المنازل الممتدة عبر آلاف السنين ومع عاداتها وتقاليدها، حيث توجد ذاكرة في كل بيت وقصة في كل زاوية، للاندثار والابادة من دون ان يشكلوا أي هدف أمني أو عسكري. حاليا، هناك 65 قرية جرى محوها عن الخارطة تقريبا، فحتى المدافن تم تدميرها ومحوها كونها ذاكرة المكان. لذلك نقول بأن هذه الحرب ثقافية، لأن ما يجري هو محو قرى ومعالم ثقافية طبيعية.

■ ما هو حجم الخسائر حتى الآن؟
□ هناك 65 قرية يتم محوها بكل ما فيها من معالم وجرفها وتغيير طبيعة الأرض فيها، وهذا بمثابة محو كامل لمجتمع وكأنه لم يكن. هذا امر مرفوض لأننا متجذرون في هذه الارض منذ 5000 سنة، هناك مثلا بلدة يارون التي تم تدمير الجامع والكنيسة فيها وجرفهما، فهذا يعني أنك تريد محو قصة وليس مبنى فقط. هذه البلدة تمثل التنوع الموجود في المجتمع اللبناني من خلال وجود الجامع والكنيسة الى جانب بعضهما البعض. كل ما يجري ليس عملا عسكريا، والسؤال ماذا كان يفعل عالم الآثار الاسرائيلي الذي قتل في قلعة شمع، وهو يبلغ من العمر 80 سنة ويعمل على الآثار التوراتية؟ ماذا كان يفعل هناك خلال الحرب؟ نحن نعلم

> **سنعيد بناء تاريخنا وتراثنا بعد الحرب**

المدير العام للآثار المهندس سركيس الخوري.

بأن الجيش الاسرائيلي عندما يشن هجوما ما، يكون معه ما يسمى جيش الظل الذي يضم في صفوفه خبراء في مجالات تكون تهم الجيش المهاجم مما يعني انه يهتم بموضوع الاثار، لذلك كان يصطحب معه هذا العالم. لكن نحن نقول لهم بأننا موجودون في هذه الأرض منذ مدة بعيد، لذلك نعتبر ان هذه الحرب هي حرب ثقافية. ناهيك بأن لدينا حوالي 250 تلا أثريا في البقاع والجنوب، وهذه التلال هي عبارة عن حضارات تركناها تحت الارض محمية للأجيال المقبلة، فيما الاسرائيلي يعمل على تدميرها من خلال التكنولوجيا الحديثة التي وجدت لخير البشر والانسانية، لكنه يستخدمها في تدمير التاريخ والتراث. هذا التراث الذي هو ملكنا، نعتبره نحن بأنه ملك للإنسانية. فقلعة شقيف ارنون، هي ملكنا وتحت حمايتنا، وواجبنا حمايتها والحفاظ عليها لأنها ملك للإنسانية أيضا. حضارتنا متجذرة في التاريخ ولديها اهمية عالمية، وهذا الغنى الانساني الموجود في لبنان هو في عهدة الانسانية جمعاء.
بالنسبة الى احصاء الاضرار، هناك اضرار في ثكنة غورو في بعلبك وفي السور الروماني وكذلك في الابنية التاريخية من بينها مبنى المنشية. كذلك هناك اضرار في اسواق النبطية، والقرى الـ65 التي تعتبر جميعها تاريخية، وحتى المباني المعمرة حديثا نعتبرها من ضمن المباني التاريخية لأن التاريخ عندنا لا يتوقف ونحن نسميه "التراث المعيوش" لأن المبنى المشيد حديثا يدل على الاستمرارية في السكن والاستمرارية في تطور هذه المجتمعات. وهناك ايضا مدينة صور ومحيطها، فيما كل القصف الذي يحصل يؤدي الى اضرار مباشرة وغير مباشرة، لا سيما وان المنشآت الاثرية تكون حساسة والارتجاجات تؤدي الى تشققات وتفسخات مع الوقت. لقد تنبهنا لهذا الامر في هذه المواقع، ان في بعلبك أو صور أو شقيف ارنون، ولدينا توثيق جيد ودقيق عن الاضرار الى جانب القرى الـ65، إضافة الى عملية تفجير قلعة شمع التي حصلت انتقاما لمقتل العالم الإسرائيلي، وهذا تأكيد إضافي على أن الحرب ثقافية.
ثمة ايضا اضرار في قلعتي تبنين وشقيف، وهناك مواقع اصبحت تحت الاحتلال والسيطرة الاسرائيلية مثل العند وغيرها.

■ كيف تواجهون هذا العدوان كمديرية ووزارة، وما هي الخطوات التي قمتم بها لحماية هذه المواقع؟
□ في صلب استراتيجيتنا نعرف اننا في بلد يتعرض للكثير من الازمات الاقليمية والحروب. لذلك نضع دائما خطة لحماية الآثار، اهم ما فيها الاجراءات الوقائية، ومنها انه إذا كان لدينا موقع ما في مكان خطر نتركه تحت الارض ولا نحفره، على ان يترك للأجيال المقبلة خلال فترة السلم. في أثناء الحرب اخلينا القطع الاثرية المهمة من الاماكن الخطرة الى اماكن آمنة، واتخذنا تدابير حماية في مستودعاتنا. كذلك قمنا عام 2019 بمجهود كبير كمديرية ووزارة ثقافة لكي يوقع لبنان البروتوكول الثاني من اتفاقية لاهاي لعام 1954 التي تسمح بحماية معززة للمواقع الاثرية خلال النزاعات المسلحة وفق القانون الدولي في الأونيسكو، وقد صادق عليها مجلس النواب ووقعها رئيس الجمهورية عام 2019. عندما بدأت الحرب، قامت المديرية العامة للآثار ووزارة الثقافة بمجهود جبار حيث صنفت 34 موقعا على هذه اللائحة، ثم اضافت عام 2026 تصنيف 39 موقعا، فأصبح لدى لبنان 73 موقعا مصنفا. لبنان هو الاول في العالم في هذا التصنيف، حيث لا يوجد رقم مماثل في كل دول العالم. نشكل العدد الاكبر في لائحة ◄

◄ الأونيسكو، وهذا يدل على الجهد الذي قامت وتقوم به مديرية الآثار في وزارة الثقافة من اجل حماية التراث. في بعض الاماكن كانت هذه الاتفاقية مفيدة، لكن في اماكن أخرى لم يحترمها جيش العدو المعروف عنه انه لا يحترم حتى القانون الإنساني الذي يطالب بعدم الاعتداء على أي إنسان او حتى حيوان ضعيف. فهذا العدو الذي لا يحترم القانون الإنساني، لن يحترم القوانين والمعاهدات التي تحمي التراث في لبنان، لا بل يناسبه عدم احترام هذه القوانين والمعاهدات لأنه يسعى الى القول بأن حضارته أقدم من حضارتنا، وهذا طبعا غير صحيح لأن حضارتنا متجذرة في هذه الارض منذ فجر التاريخ.

■ ماذا عن دور المنظمات والمؤسسات الدولية وبخاصة الأونيسكو تجاه ما يجري؟

□ لجأنا إلى الأونيسكو لحماية المواقع الثقافية، وقد تدخلت قدر الإمكان. لكن هذا التدخل لم يلق أي تجاوب من قبل اسرائيل، علما أن الامم المتحدة لا تستطيع التدخل من الناحية الإنسانية. الأونيسكو ابلغت اسرائيل بضرورة عدم الاعتداء على الآثار في لبنان، ونحن دائما نلجأ اليها لأننا نؤمن بالقانون الدولي ونؤمن بالمعاهدات الدولية وبالمجتمع الدولي، ولأننا في النهاية لا بد من دور للمجتمع الدولي ونحن في القرن 21 ولسنا في عصور ما قبل التاريخ حيث القوي يأكل الضعيف. نحن في ظل قانون مدني، لكن يبدو أن البعض يعتمد على القوة فقط. الأونيسكو تبذل جهودا كبيرة، ونحن نتوجه اليها بالشكر لأنها تساعدنا في مواقع عدة. كما أتوجه بالشكر الى منظمة "اليف" ALIF ومديرها فاليري فلورون الذين يقدمون المساعدة خلال الحروب لحماية تراثنا. كذلك اشكر كل موظفي المديرية العامة للآثار الذين يقومون بواجباتهم بطريقة محترفة ومهنية من اجل حماية التراث.

■ ما هي خطة المديرية والوزارة لايجاد "لوبي" على الصعيد الدولي من أجل حماية ما تبقى من مواقع تراثية واثرية؟

□ الخطة الوحيدة الممكنة تتجاوز المديرية العام للآثار ووزارة الثقافة وهي ربما تتخطى الدولة اللبنانية، كون المشكلة اصبحت إقليمية. نحن نتمنى ونأمل ان تتوقف الحرب لأنها الطريقة الوحيدة لمنع هذا التدمير الوحشي. لكني أود ان أقول بأن هذه الارض اجتازت عددا كبيرا من المصاعب والازمات وتخطتها رغم تقديم الكثير من الخسائر البشرية، ورغم ذلك بقيت الارض وتطورت وهنا يكمن سر غنى ثقافتنا. انا متأكد من ان فجر لبنان سيعود من جديد، كما بنت اوروبا تراثها بعد الحرب العالمية الثانية الذي كان مدمرا بكامله، وذلك نتيجة وجود ارادة للتجذر بالتاريخ. كلنا يذكر بأنه أعيد بناء مدينة فرصوفيا عاصمة بولونيا، وأدرجت في لائحة التراث العالمي لأن التاريخ لا ينتهي أو تزول قيمته طالما وجدت الارادة الوطنية. وبما أن الحرب كانت ثقافية، يجب أن تكون اعادة البناء ثقافية، مما يؤكد أننا متمسكون بتاريخنا وعاداتنا وتقاليدنا.